

بين الشاعر أحمد شوقي وعالم الطفولة، صلات ووشائج - جميعها - مشرقة وعميقة، وقد لازمت الشاعر طوال حياته تلك السمات المميزة البريئة، بحيث أصبحت من السمات الدالة على شخصية الشاعر، ونقاء سريره، وطبيعته الخيرة، وقد تأصلت تلك الخصائص في عقل الشاعر ووجدانه من زمن الطفولة المبكرة، وعهود الصبا الأولى، فعندما التحق عام ١٨٨٥م بمدرسة الحقوق (قسم الترجمة) وصفه أحمد زكي باشا في لقاءه به فيذكر :

(دخل فناء المدرسة الذي يموج بالطلبة، ولكنه وحده، الفتى النحيل الهزيل، القصير القامة، وإن كان وسيم الطلعة، بعيون متألقة ولكنها منتقلة دائما.. وإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة، فللسماء منه دقائق متمادية.... وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة، هادئ ساكن وادع، كأنما يتحدث، أو يتلاغي مع عالم الخيال، لا يعيب مع العابثين، ولا يلهو مع اللاهين، إذا مشى سمعت لنعله احتكاكا بالأرض يدل عليه، قصير الطربوش، ضيق بعض الشيء، كبير الرأس، صغير القدمين صغر أقدام الأطفال... دقيق أصابع اليدين دقة مرهفة تكاد تلحقها بأيدي الصغار ...) (١).

فالصورة النفسية الجسمية الجميلة - في تلك المقولة - أقرب ما تكون إلى عالم الطفولة الزاخر بالخيال والجمال، كما تجسدت في هيئة الشاعر أحمد شوقي صورة ذهنية دالة على استغراقه منذ كان صبيا يافعا، مع الخيال الشعري. ويعلل د. شوقي ضيف أسباب ذلك فيقول : (... فشوقي مع إخوانه وزملائه في الحقوق، وهو لا يحس بهم، وكأنما شغلته ربة الشعر عنهم، فهو يبحث عنها فيما حوله...) (٢).

(١) انظر : أحمد شوقي، للدكتور ماهر حسن فهمي، سلسلة أعلام العرب ص ١٩ - ٢٠، شوقي شاعر العصر الحديث.. د. شوقي ضيف، ص ١٢، ذكرى الشاعرين حافظ وشوقي، ص ٢٢٦، مجلة أبولو عدد ديسمبر ١٩٣٢م، ص ٣٨٢، حياة شوقي لأحمد محفوظ ص ٢٠ - ٢٢.  
(٢) شوقي شاعر العصر الحديث، د. شوقي ضيف، ص ١٢.